عنوان المحاضرة – التحدي في القرآن

Lecture Title – Challenge in the Qur'an

معنى التحدي من حيث اللغة: التحدّي في اللغة يعني المباراة والمبارزة.

من حيث الاصطلاح:

التحدي اصطلاحاً يتصل اتصالاً وثيقاً بالمعنى اللغوي فهو طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة ويتحدد المثل تبعا لما يتحدى به، وايضا يعبُر عن إنذار شخص بفعل شيء مع التّلميح إلى عدم قدرته عليه. وأمّا التحدي في القرآن فهو طلب لإتيان بمثله حيث يتحدى الله عز وجل الجميع على أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

التحدي بالقرآن :

القرآن هو الكتاب الوحيد الذي ينشر تحديه بين كلماته وهو يتحدى المشركين، الذين لم يؤمنوا برسالة النبي محمد ويزعمون بأنّ القرآن هو كتاب من افتراءه، بأن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين. لقد وقع التحدي بالقرآن الكريم بطريقة التدرج فتحدّى القرآن أولاً بالإتيان بمثله وذلك في قوله:

إن تحدي القرآن كان أكثر من آية ، وفي أكثر من وقت واحد ، وفي أكثر من مكان كذلك ، لقد تعددت آيات التحديث ، وتعددت مراحله كذلك ، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا : تحدا أن يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين قدر معين ، قال تعالى} : فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ] { الطور : ٣٤]

ثانيا : ولما عجزوا أن يأتوا بمثله أرخى لهم العنان مرة أخرى ، قال تعالى:

}أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] { هود : ١٣، ١٤].

ثالثا : فلما عجزوا لم يستطيعوا ، أرخى لهم العنان ، وخفف عليهم المؤنة فاكتفى منهم بسورة واحدة ، قال تعالى} : أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] { يونس : ٣٨]

رابعا : ولكن القوم يراوحوا مكانهم ، فتحداهم وكانت المرة الأخيرة أن يأتوا بسورة تشبه القرآن ، ولو من وجه من الوجوه ، فقال سبحانه } : وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ] { البقرة : ٢٣ ، ٢٤ . [

وإذا أردنا دراسة هذه المراحل لنرى ما بينها من وجوه الاتفاق والاختلاف ، فأننا نجد ما يلي:

أولا : إن هذه المراحل كلها جاءت تعلن التحدي بكل قوة وثقة.

ثانيا : إن المراحل الثلاث الأولى كلها مكية التنزيل ؛ فالآية الاولى من سورة الطور ، والثانية من سورة هود ، والثالثة من سورة يونس عليهما الصلاة والسلام ، وهذه السور مكية اتفاقا . أما الآية الرابعة فهي مدنية اتفاقا وهي من سورة البقرة.

ثالثا : إن المراحل الثلاث ، أما المرحلة الرابعة ، فقد خوطب بها الناس جميعا ، يدل لذلك سياق الآيات الكريمة ، وهي قوله} : ا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ] { البقرة : ٢١ – ٢٣.[

رابعا : أن المراحل الثلاث الأولى مختلفة من حيث الأسلوب عن المرحلة الرابعة ، وإليكم بيان ذلك:

المرحلة الاولى} : فليأتوا بحديث مثله{والثانية} قل فآتوا بعشر سور مثله مفتريات {والثالثة {قل فأتوا بسورة مثله} . أما المرحلة الرابعة فجاء الأسلوب فيها {فأتوا بسورة من مثله} فكلمة ((من)) لم تذكر إلا في المرحلة الرابعة.

هناك اختلاف – إذن – بني المراحل الثلاث والمرحلة الرابعة من حيث التنزيل ، ومن حيث السياق ، ومن حيث الأسلوب ، ولهذه الفروق دلالاتها في تعيين أو ترجيح أحد القولين السابقين في بيان وجوه الإعجاز.

فإذا كان التحديث في المرحل الثلاث المخاطب به العرب ، والعرب كان البيان بضاعتهم والبلاغة سجيتهم ، فإن المرحلة الرابعة المخاطب بها الناس جميعا عربهم وعجمهم ، وإذا كانت المراحل الثلاث الأولى خالية من كلمة (من) ، فلقد جاءت المرحلة الرابعة مشتملة على هذا الحرف الدال على التبعيض ومعنى هذه المراحل

الأخيرة ، كان التحديث فيها للناس جميعا ، ولا يعقل أن يتحدى الناس جميعا بالبيان وحده ، إنما هو تحد عام عموما المخاطبين به.

وبعد هذه الدراسة لمراحل التحديث نقرر مطمئنين أن وجوه الإعجاز متعددة ، وأن القرآن الكريم معجز من حيث بيانه ، ومن حيث تشريعه ، ومن حيث ما فيه من حقائق علمية وكونية ، ومن حيث ما فيه من أخبار الأمم السابقة ومن أخبار الغيب المستقبل ، ومن حيث تأثيره في النفوس ، من هذه الحيثيات وغيرها مما ستعلم نبأه بعد حيث إن شاء الله ، فلا تعجل ، فقبل أن نحدثك عن هذه الوجوه ، سنسير معا في رحلة تاريخية ، نتعرف من خلالها على جهود السابقين من العلماء ، وما نظمته أفكارهم ، وسطرته أقلامهم قديما وحديثا .

القدر المعجز من القران الكريم :

فلا نعلم أحدا من أهل العلم نص على التفريق بين السورة القصيرة والطويلة في الإعجاز، ولكن منهم من قال: لا يحصل الإعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة. كما ذكر السيوطي في (الإتقان.(

وقد وقع في القدر المعجز من القرآن خلاف بين أهل العلم على أقوال مشهورة:

- **أولها: أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه، وهو قول مردود، قال به بعض المعتزلة.**
- **وثانيها: أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره. وهذا ما رجحه الدكتور فهد الرومي في كتابه: (دراسات في علوم القرآن.(**
- **وثالثها: أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة، وهذا رأي الجمهور.**

قال الدكتور مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن :(ورأي الجمهور هنا هو الذي يظاهره ويؤيده ظاهر مراحل التحدّي فيه .اهـ.
وزاد بعضهم أنه يتعلق أيضًا بقدر سورة تامة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجز.
وهنا ننبه على أمر مهم ذكره الدكتور مصطفى مسلم فقال :يجب التفريق بين أمرين:

. الأول: ما وقع به التحدي، فالتحدي لم يقع على أقل من سورة، والسورة تطلق على القصيرة والطويلة، والسورة بشخصيتها المستقلة هي المقصودة في آيات التحدي، والإتيان بمثلها خارج عن طوق الإنس والجن وإن قصرت كسورة الكوثر.

. الأمر الثاني: القدر الدال على كون القرآن كلام الله، أي معرفة مصدر القرآن وكونه وحيا منزلا من الله، وهذا لا يتقيد فيه بمقدار معين، فقد يدرك ذلك من خلال سورة، أو من خلال آية واحدة، أو بعض آية أو كلمة واحدة، فورود بعض الكلمات في سياق الحقائق الكونية أو الحقائق العلمية في النفس الإنسانية يدل على أن

ذلك لا يدخل في نطاق العلم البشري، كما في قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً* أَحْياءً وَأَمْواتاً [المرسلات: ٢٥، ٢٦]. وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً [الفرقان: ٤٥، ٤٦]. وقوله تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ [الزمر: ٦]. فهذه الحقائق لم تكن في مقدور أحد من البشر أن يحيط بها علما عند نزول القرآن الكريم، فدل ذلك على أن الذي يعلم السر في السماوات والأرض هو منزل القرآن الكريم .. اهـ.